

الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿ [القمر: ١٧].

قلت: وكلُّ هذه نِعَمٌ، فيُسأل العبدُ عنها: هل شكَّرَ ذلك أم كَفَرَ. والأقوالُ المتقدِّمةُ أظهر. والله أعلم.

تفسير سورة «والعصر»

وهي مكية، وقال قتادة: مدنية. وروي عن ابن عباس^(١). وهي ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ﴿١﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ أي: الدهر؛ قاله ابن عباس وغيره^(٢). فالعصرُ مثلُ الدهر، ومنه قولُ الشاعر:

سَبِيلُ الْهَوَى وَعَرٌّ وَبِحَرِّ الْهَوَى عَمْرٌ وَيَوْمُ الْهَوَى شَهْرٌ وَشَهْرُ الْهَوَى دَهْرٌ^(٣)
أي: عصر.

أقسم الله به عزَّ وجلَّ؛ لِمَا فيه من التنبيه بتصرفِ الأحوال وتبدُّلها، وما فيها من الدلالة على الصانع.

وقيل: العصر^(٤): الليل والنهار. قال حميد بن ثور:

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا^(٥)

(١) ذكر قولهما الماوردي في النكت والعيون ٦/٣٣٣.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/٦١٢، والنكت والعيون ٦/٣٣٣.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٦٧.

(٤) في الصحاح (عصر) والكلام منه: العصران.

(٥) ديوان حميد بن ثور ص ٨، وإصلاح المنطق ص ٤٣٧، والصحاح (عصر). قوله: يومٌ وليلةٌ، هو =

والعصران أيضاً: الغدأة والعشي؛ قال:

وَأَمْطَلُهُ الْعَصْرِينَ حَتَّى يَمَلَّنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفِ رَاغِمٌ^(١)

يقول: إذا جاءني أول النهار وعدته آخره.

وقيل: إنه العشي، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها؛ قاله الحسن وقتادة، ومنه

قول الشاعر:

تَرَوِّحُ بِنَايَا عَمْرٍو قَدْ قَصَرَ الْعَصْرُ وَفِي الرَّوْحَةِ الْأُولَى الْغَنِيمَةُ وَالْأَجْرُ^(٢)

وعن قتادة أيضاً: هو آخر ساعة من ساعات النهار^(٣).

وقيل: هو قَسَمٌ بصلاة العصر، وهي الوسطى؛ لأنها أفضل الصلوات؛ قاله

مقاتل^(٤). يقال: أَدْنُ لِلْعَصْرِ، أي: لصلاة العصر. وُصِّيتِ الْعَصْرُ، أي: صلاة

العصر. وفي الخبر الصحيح: «الصلاة الوسطى: صلاة العصر». وقد مضى في سورة

البقرة بيانه^(٥).

وقيل: هو قَسَمٌ بعصر النبي ﷺ، لفضله بتجديد النبوة فيه^(٦). وقيل: معناه: ورب

العصر.

= بدل من العصرين، يقول: إذا طلبا شيئاً بَلَّغاه وأدركاه، لا يفوتهما شيء. وتيمنا: قصدا، جعل الهلاك الذي يقع فيهما كأنه من فعلهما، ويقضدهما يقع. شرح أبيات إصلاح المنطق للسيرافي ص ٥٩٤.

(١) إصلاح المنطق ص ٤٣٧، والأضداد لابن الأنباري ص ٢٠٢، والصحاح (عصر) والكلام منه، وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٢٧ برواية: ويرضى ببعض الدين في غير نائل. قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٥٩٥: يقول: أمطل غريمي؛ إذا جاءني في أول النهار وعدته آخر النهار، وإذا جاءني في آخر النهار وعدته في أول اليوم الذي يأتي بعده.

(٢) النكت والعيون ٦/٣٣٣، والكلام منه، واللسان (عصر)، وصدده في تهذيب اللغة ٢/١٤، ووقع في (د) و(ز) و(ي): يروح بنا عمرو وقد...، وهو موافق لرواية البيت في العين ١/٢٩٣.

(٣) تفسير البغوي ٤/٥٢٢، وأخرجه عبد الرزاق ٢/٣٩٤ بلفظ: ساعة من ساعات النهار.

(٤) النكت والعيون ٦/٣٣٣، والوسيط ٤/٥٥١، وتفسير البغوي ٤/٥٢٢ - ٥٢٣.

(٥) ٤/١٧٧، وهو في سنن الترمذي (١٨١) من حديث ابن مسعود ﷺ، و(١٨٢) من حديث سمرة بن

جندب ﷺ.

(٦) النكت والعيون ٦/٣٣٣.

الثانية: قال مالك: مَنْ حَلَفَ أَلَّا يَكْلُمَ رَجُلًا عَضْرًا لَمْ يَكْلُمْهُ سَنَةً. قال ابن العربي^(١): إِنَّمَا حَمَلَ مَالِكٌ يَمِينََ الْحَالِفِ أَلَّا يَكْلُمَ امْرَأً عَضْرًا عَلَى السَّنَةِ؛ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا قِيلَ فِيهِ، وَذَلِكَ عَلَى أَصْلِهِ فِي تَغْلِيظِ الْمَعْنَى فِي الْإِيمَانِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يَبْرُ بِسَاعَةٍ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ نِيَّةٌ، وَبِهِ أَقُولُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَالِفُ عَرَبِيًّا، فَيُقَالُ لَهُ: مَا أَرَدْتَ؟ فَإِذَا فَسَّرَهُ بِمَا يَحْتَمِلُهُ قُبِلَ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الْأَقْلُ^(٢)، وَيَجِيءُ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى مَا يَفْسَّرُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ﴿٢﴾

هذا جوابُ القسم. والمرادُ به الكافر؛ قاله ابن عباسٍ في رواية أبي صالح^(٣). وروى الضحاك عنه قال: يريدُ جماعةً من المشركين: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى، والأسود بن عبد يغوث^(٤). وقيل: يعني بالإنسان جنسَ الناس^(٥).

﴿لَفِي خُسْرٍ﴾: لفي عَين. وقال الأخفش: هَلَكَةٌ. الفراء^(٦): عقوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩]. ابن زيد: لفي شر^(٧). وقيل: لفي نَقْصٍ. والمعنى متقارب.

وروي عن سلام: «والعَصِير» بكسْرِ الصَّاد^(٨). وقرأ الأعرجُ وطلحةُ وعيسى الثَّقَفِيُّ: «خُسْرٍ» بضم السين. وروى ذلك هارون عن أبي بكر عن عاصم^(٩). والوجهُ

(١) في أحكام القرآن ٤/١٩٦٧.

(٢) في النسخ: إلا أن يكون الأقل، والمثبت من أحكام القرآن.

(٣) ذكره البغوي ٤/٥٢٣ دون نسبة.

(٤) ذكره الرازي ٣٢/٨٦.

(٥) قال الزجاج في معاني القرآن ٥/٣٥٩: هو كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، تريد: الدراهم.

(٦) في معاني القرآن ٣/٢٨٩.

(٧) النكت والعيون ٦/٣٣٤ عن زيد بن أسلم.

(٨) القراءات الشاذة ص ١٧٩.

(٩) المصدر السابق.

فيهما الإتياع. ويقال: خُسِرَ وخُسِرَ، مثل عُسِرَ وعُسِرَ^(١).

وكان عليّ يقرؤها: «والعَصْرِ ونَوَائِبِ الدَّهْرِ، إِنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ. وإنَّه فيه إلى آخر الدهر»^(٢).

وقال إبراهيم: إِنَّ الإنسانَ إذا عُمِرَ في الدنيا وهَرِمَ، لفي تَقْصِرٍ وَضَعْفٍ وتراجُعٍ، إِلَّا المؤمنِينَ، فَإِنَّهم تُكْتَبُ لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم، نظيره قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ [التين: ٤-٥]. قال: وقراءتنا: «والعَصْرِ إِنَّ الإنسانَ لفي خُسْرٍ، وإنَّه في آخِرِ الدَّهْرِ»^(٣). والصحيح ما عليه الأمة والمصاحف. وقد مضى الردُّ في مقدِّمة الكتابِ على مَنْ خَالَفَ مصحفَ عثمان، وأنَّ هذا ليس بقرآنٍ يُتلى؛ فتأملُه هناك^(٤).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناءٌ من الإنسان؛ إذ هو بمعنى الناسِ على الصحيح. قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: أدوا الفرائضَ المفترضةَ عليهم، وهم أصحابُ رسولِ الله ﷺ.

قال أبيّ بن كعب: قرأتُ على رسولِ الله ﷺ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ثم قلتُ: ما تفسيرُها يا نبيَّ الله؟ قال: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ قَسَمٌ من الله، أَقْسَمَ رَبُّكُمْ بِآخِرِ النَّهَارِ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِنَفِي﴾

(١) نقل الجوهري في الصحاح (عصر) عن عيسى بن عمر قال: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم وأوسطه ساكن، فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخففه. وقال السمين في الدر المصون ٢/٢٨٥: اختلف النحاة؛ هل الضم أصل والسكون تخفيف، أو الأصل السكون والضم للإتياع؟ والأول أظهر لأنه المفهوم في كلامهم.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/٦١٣.

(٣) أخرجه عبد بن حميد بلفظ: «والعصر إن الإنسان لفي خسر وإنه لفيه إلى آخر الدهر». الدر المنثور ٦/٣٩٢.

(٤) ١٢٦/١.

خُتِرَ ﴿أَبُو جَهْلٍ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَبُو بَكْرٍ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عُمَرُ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ عَثْمَانُ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلِيٌّ رضي الله عنهم أجمعين^(١). وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه.

ومعنى ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أي: تحابوا؛ أوصى بعضهم بعضاً، وحث بعضهم بعضاً. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد؛ كذا روى الضحاك عن ابن عباس. وقال قتادة: «بِالْحَقِّ» أي: بالقرآن. وقال السدي: الحق هنا هو الله عز وجل. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله عز وجل، والصبر عن معاصيه^(٢). وقد تقدم^(٣). والله أعلم.

تفسير سورة «الهمزة»

مكية بإجماع، وهي تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُغْوَةً﴾

قد تقدم القول في الويل في غير موضع، ومعناه: الخزي والعذاب والهلكة. وقيل: وإد في جهنم.

﴿لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُغْوَةً﴾ قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون^(٤) بين الأحبة، الباغون للبراء العيب^(٥)، فعلى هذا هما بمعنى. وقال النبي ﷺ: «شراؤ عباد

(١) الوسيط ٥٥١/٤.

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٣٣٤/٦.

(٣) ص ٣٠٦ من هذا الجزء.

(٤) في (د) و(م): المفسدون.

(٥) أخرجه وكيع في الزهد (٤٤٧)، وهناد في الزهد (١٢١٤)، والطبري ٢٤/٢١٧. ووقع عند وكيع وهناد: العنت، بدل العيب.